Boukhris Fatima, Boumalk Abdallah, El Moujahid El Houssain et Souifi Hamid. ***La nouvelle grammaire de l'amazighe***, Publications de l'Institut Royal de la Culture Amazighe, Rabat, 2008, 199 pages.

يتعلق الأمر بمؤلف منشور باللغة الفرنسية حول اللغة الأمازيغية. و يقع في 199 صفحة مقسمة على تسعة فصول. يتناول مختلف مستويات اللغة من فونولوجيا وإملاء وصرف وتركيب.

وبما أن الكتاب عمل تربوي كما جاء في مقدمته، مما يميزه عن الأنحاء قبله التي تعتبر عادة دراسات لسانية في مرحلتها الأولى، فإنه يتوجه بالأساس إلى مدرسي اللغة الأمازيغية، وإلى كل من اهتم باللغة الأمازيغية تعليما ودراسة. وقد خضع تنظيم مواده لمنطق بيداغوجي ينطلق من الجزء ليصل إلى الكل، ومن البسيط إلى المعقد. حيث ابتدأ بالنسق الفونولوجي للغة الأمازيغية المعيار، متبوعا بفصل حول القواعد الإملائية لكتابة اللغة الأمازيغية، ثم تأتي الفصول من ثلاثة إلى تسعة لتتناول البنيات الصرفية والتركيبية للأمازيغية. بدءا بالاسم وما يقوم مقامه من ضمائر ثم الفعل والحرف والظرف ليأتي الحديث بعد ذلك عن بينية الجملة البسيطة فالمركبة.

لقد صدر الكتاب بعد خمس سنوات من إدراج هذه اللغة في المنظومة التربوية مما سيؤثر في هذه العملية. إذ سيعتمد لاحقا نحوا مرجعيا في التكوين. كما أنه جاء في المراحل الأولى من عملية معيرة اللغة الأمازيغية. فبعد معيرة الخط والقواعد الإملائية سيكون الكتاب أهم خطوة في طريق معيرة البنيات الصرفية والتركيبية للأمازيغية. ولا يمكن إغفال مجيء المؤلَّف بعد ما عرفته الدراسات اللسانية حول اللغة الأمازيغية من تراجع ابتداء من أواخر التسعينات. وقد نتج ذلك عن الوضعية الصعبة التي يمر منها قطاع التعليم عامة والجامعة المغربية بصفة خاصة. إذ أغلقت عدة تخصصات في السلك العالي من الدراسات الجامعية وتراجع عدد الطلبة الذين استكملوا الدراسات الجامعية العليا. وقد أتى الكتاب ليعطي انطلاقة جديدة لهذه الدراسات خاصة وتزامن صدوره مع إدراج الأمازيغية في الجامعة. كما سيثير انتباه الباحثين إلى عدة ظواهر لغوية في الامازيغية قلت الدراسات اللسانية حولها.

إن أهم ما يميز "النحو الجديد للغة الأمازيغية" هو شموليته. فهو نحو للأمازيغية أي أنه ليس خاصا بلهجة معينة أو منطقة معينة. كما تطرق لمكونات نحو الأمازيغية وهي الفونولوجيا والصرف والتركيب مع تخصيص فصل للقواعد الإملائية لكتابة اللغة الأمازيغية. فقد قام بجرد لفونيمات الأمازيغية المعيار كما علل غياب مجموعة من الأصوات التي نجدها في بعض فروع اللغة الأمازيغية دون أن يتضمنها النسق الفونولوجي للأمازيغية المعيار. ثم انتقل إلى البنيات الصرفية للاسم فعرض أهم القواعد الصرفية لاشتقاق الجنس والعدد والحالة دون إغفال الصيغ الصرفية للأسماء المشتقة، وأسماء الأعداد لينتقل إلى الخصائص التركيبية للاسم من خلال تناول محددات الاسم والعناصر التي تُكوِّن معه المجموعة الاسمية. ليأتي الحديث عن الضمائر بكل أنواعها.

وبعد ذلك انتقل إلى تناول البنيات الصرفية للفعل من خلال الحديث عن الصيغ الفعلية واللواصق الفعلية ثم أنواع الفعل المشتق. كما سرد الكتاب أنواع الفعل من حيث البنية التركيبية وطبيعة الموضوعات التي ينتقيها كل نوع. ثم تلى ذلك الحديث عن الحروف والظروف.

وخصص المؤلفون الفصلين الأخيرين للحديث عن البنيات التركيبية للأمازيغية، عبر التطرق إلى مكونات الجملة البسيطة، والوظائف التركيبية للأسماء داخل الجملة. فأنواع الجمل كالجملة الفعلية والجملة غير الفعلية والجملة المثبتة والجملة المنفية والجملة الاستفهامية والجملة التعجبية. وانتهى

الكتاب بفصل حول الجملة المركبة مركزا على أربعة أنواع من هذه الجمل وهي الجلمة الموصولية والجملة المتممة والجمل المبأرة والجمل الظرفية.

على الرغم من حرص المؤلفين على البساطة والوضوح في تقديم محتويات الكتاب فإن القارئ غير المتخصص تصادفه من حين لآخر بعض العوائق في فهم بعض القواعد. ويتعلق الأمر خاصة بطريقة تقديم بعض المعطيات اللغوية ثم المصطلح المعتمد في الكتاب وأخيرا محاوره.

ففيما يخص المعطيات فإن الكتاب يتضمن في بعض المواقع أمثلة معقدة يصعب على القارئ، الذي يحتك لأول مرة بقواعد اللغة الأمازيغية، تحديد موضع القاعدة اللغوية خاصة إذا كان المثال يتضمن انطباق أكثر من قاعدة. فمثلا حين الحديث عن قاعدة تكوين الصيغة التامة للفعل عبر تضعيف أحد صوامت الجذر تعطى أمثلة تحتوي إلى جانب التضعيف التناوب الصائتي خاصة وقد أفردت فقرة خاصة للحديث عن هذا النوع.

أما المصطلح فإننا نصادف في معرض الحديث عن بعض الظواهر اللغوية اعتماد مصطلح يتعارض والهدف الذي سطره المؤلفون في مقدمة الكتاب. ويتجلى هذا التعارض في انتماء المصطلحات المعتمدة إلى إطار نظري محدد مثل complément explicatif . كما يتم إطلاق مصطلحات متعددة لعنصر لغوي واحد. فالعلامات الفعلية، تناولها الكتاب تحت المفاهيم التالية : pronom personnel affixe sujet – désinences verbales – indice de personne. أما ضمائر المفعول، نجدها في الكتاب تحت اسم Pronom affixe objet – clitique. ويصدق الشيء نفسه على أدوات الاستفهام التي تنوولت تحت مصطلحين : Morphème interrogatif – marqueurs interrogatifs.

أما بخصوص الظواهر اللغوية، فقد أغفل الكتاب تناول بعض الظواهر اللغوية في الأمازيغية مثل التقديم. حيث لم يتناول هذه الظاهرة إلا جزئيا خلال التطرق إلى وظيفة المحور indicateur de thème أو حين الحديث عن أنواع الجملة المركبة.

في ختام هذه الورقة التعريفية بـــ"النحو الجديد للأمازيغية" يظهر أن الكتاب خطوة مهمة في طريق معيرة اللغة الأمازيغية. لأن المرور من دراسة لسانية منفردة وخاصة بفرع من الفروع اللغوية للأمازيغية إلى إعداد نحو مرجعي لهذه اللغة ليس بالأمر الهين. بل يتطلب الأمر دراية بمختلف بنيات اللغة بجميع فروعها من جهة، واستيعاب جميع الدراسات اللغوية للأمازيغية بجميع مدارسها من جهة أخرى. وهو ما تحقق في فريق تأليف هذا الكتاب. ويقدم المؤلّفون تصورا شموليا لنحو اللغة الأمازيغية بالمفهوم الحديث للنحو حيث أنهم تناولوا كل مكوناته من فونولوجيا وصرف وتركيب.

يتسم الكتاب، علاوة على كونه شاملا لكل مكونات النحو، بالتركيز على ما يوحد بين مختلف فروع الأمازيغية، وبالتالي تنويع المعطيات اللغوية. فاشتغال قاعدة نحوية معينة يتم الإستدلال عنه بأمثلة من مختلف فروع اللغة الأمازيغية. حيث ينقل الكتاب القارئ من اكتشاف قواعد اللغة الأمازيغية إلى إقناعه بوحدة هذه اللغة.

رشيد لعبدلوي
المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية